حديقة المقتطف

ابولون ودفني

من أساطير الادب اليوناني

رباعيات الغزالي

للشاعر الفرنسي جان لاهور

الحب الصوفي — عاطفة الاستسلام

نقلها خليل هنداوي

ابولو ودفني

ابولون ودفني

كانت « دفني » أول من أحبَّ « أبولون » . على ان هذا الحب لم يأت عفو الحوادث ، وإنما كان نكاية من « كوبيدوس » وكيداً استطاع به اله الحب الصغير ، أن ينتقم لنفسه من ابن « زفس » ، بل من اله من اكبر الآلهة الذين عرفهم المقام الاولمي .

فقد رأى « أبولون » الصبي « كوبيدوس » يلعب بقوسه وسهامه . وكان « أبولون » قد انتصر في ذلك الوقت على « فوثون » وما زالت نشوة الانتصار تأجج في صدره ، وتضطرم سورتها في قلبه ، فراح تياهاً مغروراً . فلما رأى الصبي في لهوه ، اكبر منهُ أمر اللعب بالقوس والسهام وقال له :

« مالك وللآلات الحرب ، وما أنت صالح بها ؟ أنما يجب عليك ان تتركها للأيدي التي تحسن حملها ، وللأبطال الذين يعرفون كيف يحمونها ! أيها الصبي الناشيء . أترك هذه الآلات للذين هم معتادون أن يقتحموا بها المعارك ويشقون بها طريقهم إلى النصر . انظر الى النصر الذي توجت به جبيني ، والى الفتح العظيم الذي نلتهُ بانتصاري على الحية « فوثون » ، وكانت قد نشرت جسمها السام على ما شئت من فضاء الأرض . ألا فاقنع أيها الصبي بمشعلك فأوقده وأرسل لظاه ووهجه ألسنته الى حيث شئت ، ولكن حذار أن تتخذ من أسلحتي ألهوّة تلهى بها »

فلما سمع ابن « فينوس » هذا الكلام التفت الى الآله الكبير وقال له :

« ان سهامك قد تصيب حيث شئت ان تصيب بها ، ولكن سهامي سوف تصيبك في الصميم »

وما أن فاه بهذه الكلمات ، حتى اعتلى صخرة من صخور « فَرْناسوس » ، واستلَّ من جعبته سهمين ، كلاً منهما مختلفاً عن الآخر ، فأحدهما يثير الحب ، والثاني يقصمهُ . وكان الاول مصنوعاً من الذهب حديدَ السنان ماضي الطعن ، أما الثاني فكان كليل الحد مطلوًّا بطبقة من الرصاص ، وبه طعن الحورية « دفني » ابنة « بنيوس » اله النهر ، وبالسهم الذهبي رشق « أبولون » فشكَّ فؤاده

وكأنما ذلك السهم الذهبي كان لهباً أضرم في قلب « أبولون » لظى الحب ، فراح يهيم « بدفني » هياماً ويضرم بها غراماً . كان في قلب « دفني » من البغض لهُ والاشفاق منهُ ما يعادلهُ ويزيد . وأنما كان لهذه الحورية الجميلة غراماً بالحراج والغابات الملتفة ، وبالالعاب التي تجد في سكون تلك الغابات متسعاً لها ومجالاً يكفيها . وقد تيمها كثير من المحبين ، وتعقبها عديد من المغرمين بها ، فأقصتهم عنها ونفرت منهم نفوراً ، ومضت تجول في الغابات متنقلة في فضائها وتحت خمائلها ، كأنها شعاع الشمس المنبثة في غيهب من الليل البهيم . ولم تفكر في « كوبيدوس » ولا في سهامه التي يصيب بها القلوب ويضرم بها الاحشاء .

أما أبوها فكثيراً ما نهاها عما كانت فيه ، فلم تنته ، ونصحها فلم ترعو . وذات يوم أقبل اليها يحدثها بلين ورفق قائلاً « يا بنتي : ان لي في عنقك حفيداً ، بل حفدة » . ولكنها كانت ترى ان الزواج جريرة كبرى ، بل معصية عظمى ، فاحمر وجهها الجميل خجلاً ، وألقت بذراعيها حول عنق أبيها قائلة - « يا أبي العزيز : هبني الهبة التي أطلبها ، هبني الحرية في أن اظل عذراء ، وان أبقى بغير زوج ، كما بقيت « ديانا » ! فلم يسعهُ الا الرضوخ لمشيئتها ، وانصرف عنها وهو يتمتم : « ان وجهك يأبى ان تظلي كما تريدين »

كان « أبولون » قد أحبها ، ورغب في ان تكون لهُ . غير ان « أبولون » ، ذاك الذي كان يقسم الحظوظ على الدنيا بأسرها ، قد ألفى العجز في ان يصرِّف حظَّ نفسه ، وان يسعد بأمنية قلبه . ولقد رأى ذات يوم شعرها الفاتن مرسلاً من فوق كتفيها الجميلتين فأهاب بها . « اذا كان هذا مقدار ما في جمال شعرك مُرسَلاً ،

فكيف به اذا تعهدته اليد الصانع ، فأضفى عليه الفن جمالاً فوق جمال ؟ » . ورأى في عينيها بريق النجم المؤتلق ، ورأى شفتيها الفاتنتين ، ولم يقو على ان يقنع بمرآها . ولقد جن بيديها المسنونين ، وذراعيها اللتين اتخذهما الفن مثالاً ينسج عليه ، وكتفيها العاريتين البضتين ، ولقد خيل اليه ان ما احتجب عن ناظريه من جسمها كان أوفى جمالاً ، وأعظم فتنة مما ظهر فيه

وأمقتها « أبولون » . وهربت « دفني » ، فكانت أسرع من الريح ، وأعجل من السهم الضال ، ولم تثن عن التنقل نزعة خائفة لتستمع الى شيء من توسلاته — « قفي يا ابنة « بنيوس » ، فلست عدواً ولا مقتفياً جباراً . لا تفري مني فرار الشاة من الذئب ، او فرار الحمامة من الباشق . انما اتبعك مسوقاً للحب . ان بعدك يتعسني ، وفرارك يؤلمني ، حذار ان تزل قدمك فيصيبك من هذه الصخور أذى . أتوسل اليك ان تكوني في فرارك اكثر تريثاً وأقل سرعة ، وأنا اعدك أن أكون في طرادي كما تكونين في فرارك . ان أبي « المشتري » ، وأنا سيد دلفوس وتندوس . اني عليم بكل الاشياء ، شهادة وغيباً . أني اله الاغنية والايقاع . ان سهامي لن تخطىء الغرض . وأسفاه ! فان سهماً أشد من سهامي فتكاً وأنفذ نصلاً ، اخترق قلبي . انا اله الطب الذي يعرف خصائص جميع العقاقير الشافية . ولكني أشكو مرضاً تعجز جميع البلاسم عن ان تبرئه »

***

غير ان الحورية كانت تتابع الفرار ، تاركة توسلاته الى الرياح ، تتولاها بالشتات والتبديد . على ان فرارها كان مبعث اعجاب في قلب « أبولون » . فقد كان الهواء يعبث بفضل ثيابها ، ويتشر شعرها الجميل مرسلاً من ورائها . غير ان الاله ذهب صبره وقلت حيلته في اغرائها بالتوسل وشفاعة الحب ، فأسرع الخطى ، مسوقاً بسهام « كوبيدوس » ، ليلحق بها ويقطع عليها شوط الفرار الدائم . فتبعها كما يتبع السلوقي فريسته ، فاتحاً ذراعيه ، فاغراً فاه ، مبدياً نواجذه ، والفريسة الضعيفة جادة في الهرب ، مطلقة للريح ساقيها ، تطلب النجاة . وعلى هذه الصورة كان الاله يتبع

الحورية الربانية — هو يطير وراءها ، على أجنحة الحب ، وهي تفر منهُ على اجنحة الخوف والاشفاق

ولاحت بداية المتهى ، لمَّا ان ادركها « ابولون » ، ولحق بها فكانت أنفاسه في ظهرها ، ثم مدَّ يده فكانت في قبضته . وتراخت مفاصلها ، واعتلت قواها ، فترنحت وكادت تسقط على الارض إعياء ورعباً ، ولكنها وجدت بقية من قوة اليأس فصاحت بأبيها — « أدركني يا بنيوس ! افتح الارض لتنشق فتبتلعني ، ثم تسوَّى عليَّ ! او غيِّر هيأتي التي كانت سبباً في ان أتم فريسة هذا العدوان »

ولم تكد تتم صيحتها حتى يبست مفاصلها ، وانقلب صدرها الى جذع شجرة كبيرة يكسوه لحاء خشن كثيف ، وتطوَّر شعرها فأصبح اوراقاً ، وذراعاها فصارتا أغصاناً ، وغاصت رجلاها في الارض فأصبحت جذوراً وشُعَيْرَات ، وتحول وجهها الى قمة شجرة ، فلم يصبح فيه من شيء مما كان ، اللهمَّ الاَّ مسحة من الجمال تذكر من يشهدها بجمال من كانت قبل ان تنقلب ذلك الانقلاب السحري ، فتصير شجرة

ووجم « أبولون » ، ينظر بتعجب فيما يرى . ولمس الجذع بيده . وأراد ان يتحقق الامر ، فلمس الاوراق بفمه ، فكانت نباتاً لا أثر للحيوانية فيه ، بل تذوق فيها طعم نبات لم يعهده . وقرص الشجرة ساعة ثم مضى يهمس بكلمات خافتة :

« أما وقد فاتني ان تكوني لي زوجة ، فلن يفوتني ان تكوني شجرتي . سأتخذ منك إكليلاً ألبسهُ فوق رأسي . سأجمل بك قيثارتي وجعبة سهامي . فاذا جاء الوقت الذي سوف يقود فيه أبطال الرومان جحافلهم قافلين الى الوطن أثر انتصاراتهم التي سوف يشهدونها ، فهنالك يعقد من اغصانك اكاليل تتوج رؤوسهم . وكما اني قد خصصت بهبة الشباب الابدي ، فكذلك ستكون اوراقك دائمة الاخضرار ، فلا تجف ولا تكون هشيماً . انت يا شجرة الغار »